

في ميدان العمل الحر متسع للشباب المثقف

للاستاذ عيسى متولى

لفت نظري إعلان صغير في إحدى الصحف اليومية ، نشره شاب من خريجي التجارة المتوسطة ، يعرض فيه استعداده لدفع تأمين مالي قدره مائتا جنيه ، نظير إلحاقه بوظيفة "محصل" في إحدى الدوائر ! ...

رثيت لهذا الشاب الذي فقد كل أمل في ميدان العمل الحر ، فراح يسعى وراء وظيفة بسيطة ، لا يتعدى راتبها عدد أصابع اليد الواحدة من الجنيهات ، عارضا مبلغا محترما كهذا بمثابة تأمين لتلك الوظيفة ! ...

ولو أنصف هذا الشاب الذي تخرج في مدرسة التجارة ، لاأخذ من هذا المبلغ الذي يريد أن يقبره رأس مال يبدأ به عملا من الأعمال الحرة ، يدر عليه أضعاف ما تدره عليه الوظيفة ، ولا سيما في هذه الظروف التي ظفر فيها أصحاب المهن الحرة إلى ذروة الثراء ... ولكنه هام حبا بالوظيفة ومظاهرها ، وقع بدخلها المحدود ، شأنه في ذلك شأن معظم شباننا الذين يتخرجون في مختلف المعاهد والكلية ، ويحصلون منها على أرفع الشهادات وأرقى الدرجات ، التي تؤهلهم لمزاولة الكثير من الأعمال الحرة ، وتكفل لهم الفوز والنجاح ، ولكنهم يحجمون عن مزاولتها ، ويعرضون عنها ، ويتهاقنون على الوظائف الحكومية تهافتا غريبا ، كأن مستقباهم قائم عليها وحدها ، فيقصدون ذوى الحثية والجاه ، يتشفعون بهم عند أولى الأمر ، ويلتمسون منهم البطاقات والتوصيات ! ... فكان الأمانة الوحيدة للشباب بعد إتمامه الدراسة إنما هي "الوظيفة" ... مناط الأمل ، ومعقد الرجاء !!

وكيف تتسع الوظائف الحكومية لهؤلاء المئات ، الذين يتخرجون في مختلف المعاهد في كل عام ؟!

ولو حاولنا تحليل هذه الظاهرة السيئة ، أدركنا أن للنشأة الأولى دخلا كبيرا فيها ، فنحن لا نعود الطفل منذ صغره الاعتماد على نفسه في شأن من الشؤون ، فنشعره بمجزه دائما عن مزاولة أى عمل دون مساعدة يمدّه بها الغير . فيشب ضعيف الثقة بنفسه ، ويحجن عن مزاولة أى عمل حر ، أو القيام بمشروع من المشروعات ، لأنه تعود منذ صغره ذلك . تعود أن يكون له في كل عمل معين يعينه على أدائه . فنحن نشفق على الطفل أن يجهد نفسه في عمل من الأعمال ، ونحمل عنه الأعباء كلها . حتى كتبه المدرسية نغفيه من حملها

عند ذهابه إلى المدرسة وعودته منها ، فنبعث برفقته من يحمل له كتبه وأدواته . وهذا لون من ألوان التدليل الذي يضر بالطفل ضررا بليغا ، لأننا نفقده عادة حميدة يجب أن تلازمه منذ صغره لتفيدة في رجولته ، وهي الاعتماد على النفس والثقة بها . وهي خير سلاح يزود به الشباب في معترك الحياة ! ...

أنظروا كيف يشق الأجنبي طريقه في الحياة ، بملاً صدره الأمل وينير له طريقه ، ويحفزه إلى السعي دون أن يتطرق إلى عزيمته وهن ، ولا إلى نفسه قنوط ! ...

يقصد الأجنبي بلادنا خالي الوفاض ، ويقتحم ميدان العمل الحر ، فإذا به بعد أعوام قلائل من أصحاب الأعمال الكبيرة ، ذلك لأنه لا يستنكف عن مزاوله أى عمل ، ما دام هذا العمل شريفاً ، يدرّ عليه ما يقيم أوده ويفنيه عن الغير... فنراه يحترف مختلف المهن والصناعات التي يستنكف بعض شبابنا احترامها ، ثم يتقدم في هذه الصناعة شيئاً فشيئاً حتى يجيدها ويتقنها ، فيتسع نطاق أعماله ، وتزداد ثروته ، ويتضاعف رأس ماله . وهكذا يعرف الأجنبي كيف يخوض غمار الحياة العملية ، سلاحه الاعتماد على النفس ، وشعاره المثابرة والدأب ، ورأس ماله الجهد والكفاح !

أذكر أنني مررت في مرة بمتجر صغير للشاي ، يملكه رجل أجنبي ، في أحد شوارع القاهرة ، واشترت منه يومئذ كمية من الشاي ، فلم يكن بهذا المتجر الصغير سوى صندوق واحد من الشاي ، بل ولم يكن صاحبه يملك ميزاناً ، فلجأ إلى جار له يزن لي ميزانه . . . وصرت الأيام . . . فإذا بهذا المتجر يملأ شيئاً فشيئاً بصناديق الشاي ، وأخذت أتبع تقدمه كلما مررت بطريقه ، فإذا به بعد أشهر معدودات متجر محترم ، زاد عدد عملائه ، وامتلاّت جنباته بصناديق الشاي والبن معا ، ولما لمس الرجل هذا الاتساع استأجر المتجر الذي يجاوره ، وخصصه لتجارة البن وطحنه .

وصررت بهذا المتجر أخيراً ، فراغني ما شاهدت ! . . . شاهدت متجراً عظيماً ، خلقت على واجهته لوحة كبيرة ، كتب عليها "مخازن الشاي ومطاحن البن الكبرى" تدار مطاحنه بالقوة الكهربائية ، وعلى إحدى مناخده (التليفون) وبه موازين كثيرة من مختلف الأحجام . . .

أرأيتم كيف بدأ هذا التاجر عمله صغيراً ، لا يملك ميزاناً يزن به بضاعته ؟ ؟ . فإذا به بعد أعوام قلائل من أصحاب الأعمال ؟ .

إن الفضل في ذلك إنما يعزى إلى اجتهاده ، ودأبه ، ومثابرتة على العمل . .
هذا مثل من أمثلة كثيرة ، نلمسها في كثير من المناسبات ، ونشهدها في كل يوم . .
ولقد شاهدنا في السنوات الأخيرة فريقا من رجال التجارة وأصحاب المهن الحرة قد استفادوا
كثيرا ، وربحوا كثيرا ، فلقد يربح أحدهم في صفقة واحدة ما يعادل أو ما يفوق مرتب
موظف في عام بأكمله ؟ .

هؤلاء العمليون الذين ابتسمت لهم الحياة لم يتالوا ما تالوه ، ولم يبلغوا ما بلغوه ، عن
طريق الوظائف والتوظيف ، إنما تالوه بفضل الاعتماد على النفس والإيمان بها . . فما
السراذن في تهاقنا على الوظيفة ؟ .

سلوا الموظفين عن هذه القيود التي تقيدهم بها الوظيفة . . ولا يستطيعون التحرر
من ربقتها . .

سلوهم . . يقولوا لكم الشيء الكثير . . وبتمنا لو أن الأقدار هيأت لهم غير ما هيأت .



من الواجب أن يوجه الشباب جهوده إلى ميدان الأعمال الحرة ، فيستغل كل منهم
مواهبه العلمية في الناحية التي تخصص فيها .

فخريجو الزراعة المتوسطة وكليتها . . لماذا لا يستثمرون مواهبهم العلمية في النواحي
التي درسوها ، فيقبلون على إحياء الصناعات الزراعية في بلاد زراعية تفتقر إلى صناعات
زراعية ؟ .

وخريجو التجارة المتوسطة وكليتها . . لماذا لا يستثمرون مواهبهم العلمية في ميادين
التجارة ، وهم أجدر الشباب بمزاولة الأعمال التجارية ؟ !

- وخريجو المدارس الصناعية . لماذا لا يستثمرون جهودهم في إحياء الصناعات التي نحس
بم حاجتنا الماسة إلى قيامها ، ولقد لمسنا مدى هذه الحاجة بعد قيام الحرب وانقطاع معظم
الواردات الصناعية من الخارج . . .

قد يعزى بعض الشبان سبب إجحامه عن مزاولة الأعمال الحرة إلى افتقاره إلى رأس
المال الذي يبدأ به عمله ، أو الأرض التي يريد استغلالها ، وهذه ولا شك عقبة كأداء ،
يجب ألا نغفلها أو نستهن بأثرها ، تفعد الكثيرين عن تحقيق مشروعاتهم ، وعلاج هذه
المشكلة إنشاء بنك صناعي ، يمد هؤلاء الشبان بسلفيات صناعية ، تسد على أقساط سنوية
بفائدة بسيطة ، تمكنهم من تحقيق مشروعاتهم ، بعد دراسة هذه المشروعات ، والتأكد
من نجاحها ، وأشرف لجنة حكومية على كل مشروع تمد الحكومة صاحبه بالمال اللازم .

كما أن نظام الاقطاعات الزراعية للحريجي الزراعة يذلل هذه العقبة ويساعد على استغلال الأراضي البور ، ويتمسح مجال العمل الحر أمام هؤلاء الشباب المثقفين ..

استعينوا بسواعد الشباب في تحويل هذه الأراضي البور إلى جنات مبروشات ! ..

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى ظاهرة سيئة ، وهي أن بعض أصحاب الثروات في مصر يؤثرون تكديس أموالهم في الخزائن عن استثمارها في مشروعات صناعية مفيدة ، ولو أن هذه الأموال المبرومة وجهت وجهة صالحة ، لآتت أطيب الثمرات ، وفتحت باب الرزق للكثيرين .. ولكنهم - مع الأسف - حبسوها في الخزائن ، وأقاموا عليها من أنفسهم حراما ؟ !

° °

بقي على أن أشير إلى نقطة هامة في الموضوع ، وهي "المركز الاجتماعي" أو "المكانة الاجتماعية" للموظف ولصاحب العمل الحر ، فحين لا ننظر إلى التاجر نفس النظرة التي ننظرها إلى الموظف ، الذي ننزله مركزا اجتماعيا أرفع وأسمى .. فإذا تقدم رجل من رجال الأعمال التجارية لخطبة فتاة ، آثر أهلها زواجها من موظف حكومي عن زواجها بالتاجر . وكانت حجتهم في ذلك أن التاجر عرضة للإفلاس ، ونسوا أن الموظف كذلك - مهما كان مركزه الأدبي - عرضة للفصل في أي وقت لسبب من الأسباب ! .. .

لذلك نرى الموظفين يتمتعون بمكانة اجتماعية رفيعة ، ولعل هذا عامل من عوامل تعلق شبابنا بالوظائف .. وهذه بعض "مغريات الوظيفة" .. حتى أننا نرى في بعض الدواوين والمصالح فريقا من أبناء الأغنياء يشغل بعض الوظائف ، لا لحاجته إلى مرتبتها بل احتفاظا بمركز ملحوظ في الهيئة الاجتماعية ! .. ومنهم من يتفق راتبه ثمانا لبتزين عربته ، أو ثمانا للفاقات التبغ التي يقدمها لزواره ؟ ! ..

° °

إن في ميدان العمل الحر لمسعا للشباب المثقف .. فليول الشباب وجوههم شطره ، وليتخذوا من هذا الميدان الحر حلبة سبق ، ومضمار منافسة ، تتنافس فيه المهتم ، وتتسابق العزائم ! ..

شباب فنع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامعينا

عيسى متولى